ما يستعاذ بهِ من عبث اقلام النساخ وانما نشأ هذا كلهُ من تحريف كلمة « هذه » من قولهِ « وهذه كلها في معنى ذي » حيث تُركت الهآء الثانية من « هذه » فأوهم ذلك انهُ يقال فيها « هذِ » بحذف اليآء وابقآء حركة الذال مختلسة كما صرح بهِ المصحح في الهامش وعلى هذا بُنيت رواية البيت كما ترى . لكن الذي يمنع هذا الوهم قولهُ « وهذِ كلها » فان لفظ « كلها » يدل على ان المراد غير ما ذكر وان المنقول عنهُ وهو ابن الاعرابي انما اراد الاشارة الى الالفاظ السابقة وهي « ذِهي وهذي وهذِهي الخ » فذكر ان « هذه كلها » بمعنى « ذي » . والبيت الذي انشدهُ شاهدٌ على « هذِهي » باشباع كسرة الهآء حتى يتولد منها يآء وصحة الشطر الاول منهُ هكذا « قلتُ لها يا هذِهي هذا إثِمْ » بكسر الثآء من إثم اتباعاً للهمزة ضرورةً او على احد مذاهبهم في الوقف . واما « هذِ » بذال مكسورة مختلسة الحركة فليست مما سُمع في كلامهم والله اعلم . انتهى

الروائح والاجسام

الروائح التي تنبعث عن الاجسام ليست الا ذرّاتٍ من تلك الاجسام تتطاير عنها وتنتشر في الهوآء فاذا انتهت الى حاسة الشمّ تهيجت بها فشعرت بالكيفية التي يتميز بها الجسم الذي تطايرت عنهُ

اما خصائص المشمومات وطبائع الروائح وكيفية تأثيرها في عصب الشم بين ان يكون ناشئاً عن ارتجاج العصب عند وقوع تلك الذرّات عليهِ او يكون شعوراً بشيءٍ في نفس الذرّات فما لم يهتدوا الى معرفتهِ . سوى

انهم بالاستقرآء وجدوا ان اكثر الاجسام آليّةً كانت او غير آلية لا تخلو من رائحة وذوات الرائحة في المركبة من غير الآلية اكثر منها في البسيطة. لكن من الغريب ان اكثر ذوات الرائحة من الاجسام المركبة مؤلفٌ من اجسام لا رائحة لها وذلك كالحامض الكبريتوس (بخار الكبريت) فانهُ ذو رائحة قوية حادّة وهو مركب من الاكسيجين والكبريت وكلاهما لا رائحة لهُ . وبعكس ذلك الاجسام الشديدة الرائحة اذا تركب بعضها مع بعض كملح النشادر مثلاً فانهُ لا رائحة لهُ مع انهُ مركبٌ من الحامض الهدروكلوريك وغاز الامونياك وكلاهما من ذوات الروائح الشديدة

ثم ان تبديل المقدار النسبي بين عناصر الجسم يغير من خاصيتهِ واذا كان من ذوات الروائح فقد يفقد رائحتهُ بتاتاً فاذا حُوّل الحامض الكبريتوس مثلاً الى حامض كبريتيك (والاول مركب من ١ من الكبريت و ٢ من الاكسيجين والثاني من ١ من الكبريت و ٣ من الاكسيجين) اصبح لا رائحة لهُ

اما النبات فاكثر الظن ان جميعهُ ذو رائحة بدليل ان الحيوان يميز بين انواعٍ منهُ لا نجد لها رائحةً البتة . لكن على الجملة تقوى رائحة النبات او تضعف بالقياس الى قوة التطاير في بعض العناصر الداخلة في تركيبهِ ولا سيما الزيوت الطيارة التي تُعَدّ من افعل العوامل في انتشار الروائح . وهذه الزيوت توجد في جميع الاجزآء التي يتركب منها النبات مفرزةً من غُدَدٍ خاصّة . وهي تختلف باختلاف الاجزآء التي تنبعث عنها بين ان تكون من الجذور او من الخشب او الزهر او غير ذلك . وما كان منها في الزهر

لا يتعدى حياة الزهرة الا في النادر بخلاف ما كان في الجذور او الخشب او غيرهما والظاهر ان انبعاث الروائح العطرية من الزهر ناشئٌ عن وظيفة لها تعلقٌ بالازدواج على حد ما يُرَى مثل ذلك في كثيرٍ من انواع الحيوان

وقد بحث بعضهم عن وجود علاقة بين رائحة الزهر ولونهِ وممن اشتغل باستقراء ذلك اثنان من علماء الالمان فظهر لهما ان اكثر الزهر فوحاناً واشدّهُ تأرّجاً الزهور البيضاء كزهر النارنج والياسمين واكثر اصناف السوسن (الزنبق) ويليها في ذلك الزهور الحمراء ثم الصفراء ثم الزرقاء ثم البنفسجية ثم الخضراء ثم النارنجية ثم الكلفاء . على ان هذا غالبٌ لا مطّرد لامكان الخلاف فيهِ كما يشاهد في بعض انواع الزهر

واما الحيوان فلكل سائلٍ فيهِ رائحةٌ خاصة بهِ مُفرَزاً كان او مُبرَزاً فان الدم مثلاً لهُ رائحة يتميز بها عن بقية سوائل الجسم ورائحتهُ تختلف في اكثر الحيوانات وهو في الذكر اقوى رائحةً منهُ في الانثى . واما اللبن فلا رائحة لهُ عادةً لكنهُ يكتسب رائحة بعد تناول المواد ذات الروائح وهذا اكثر ما يكون في آكلات العشب . والمبرَزات منتنة على العموم ولكنها تكون اشدّ نتناً كلما ازدادت المواد الازوتية في طعام الحيوان . والبول منها على الغالب نشادريٌّ في الانسان وفي آكلات اللحوم ولكنهُ في آكلات النبات لا رائحة لهُ الا ما لا يكاد يُشعر بهِ . على ان البول عرضةٌ للتكيُّف بالمواد الداخلة على الجسم فان خلاصة التربنتينا مثلاً تكسبهُ رائحة اشبه برائحة البنفسج والهليون يكسبهُ رائحةً شديدة النتن وداء البول السكري باخلاطهِ البول من المواد النشادرية يُفقدهُ كل رائحةٍ

كريهة . واما العَرَق والنَفَس فيختلف امرهما في الناس فهما في الاكثر لا رائحة لهما ولكنهما في البعض لا يُطاقان نتانةً وهذا لا تكاد تجدهُ في الحيوان ما خلا بعض الداجن منهُ كالكلب مثلاً

اما تقسيم الروائح وردّها الى اصولٍ ونِسَبٍ معلومة كما في الالوان مثلاً فما لم يجدوا اليهِ سبيلاً لكن غاية ما هنالك ان يصفوها بالطيبة او المنتنة او يضيفوها الى محلها كرائحة الورد ورائحة التفاح ونحو ذلك . على ان منهم من حاول هذا التقسيم فيها اما باعتبار منزلتها في الطيب والنتن كما فعل لِنّاي فقسمها الى سبع طوائف وهي الطيّبة والعَبِقة والفاخرة والصُنانية والمنتنة والذاميَة والمُغْثِيَة . واما باعتبار ما يغلب فيها من روائح المواد الداخلة في تركيبها كما فعل لُورسيے فقسمها الى خمس طوائف وهي الكافورية والمخدّرة والايثيرية وذات الحوامض الطيارة والقلوية . ومنهم من اعتبر فيها غير ذلك فقسمها الى غير ما ذُكر ولكن كل ذلك لم يعوّل عليهِ جمهور الباحثين لانهُ غير جامع ولا مانع

وقد تقدم ان الروائح ليست الا ذرّاتٍ صغيرة تتطاير عن الاجسام وهي من هذا الوجه تتفاوت كثيراً فان الكافور والمسك يُعدّان من اقوى الاجسام رائحةً لكنهما يختلفان اختلافاً عظيماً في حجم الذرّات ودقتها فان قطعةً من الكافور ذات خمسة سنتغرامات مثلاً لا يأتي عليها الا وقت قصير حتى تتبخر بجملتها وتفنى . وتبخُّرها شديد السرعة حتى انها اذا وُضعت على وجه الماء دارت على نفسها بقوة تلك الحركة على حدّ ما يكون من حبّة البَرَد اذا وُضعت على الكفّ بعد ان ينحلّ شيءٌ من مائها . وبخلاف ذلك

المسك فان قطعةً منهُ اصغر من ذلك كثيراً يمكن ان تبقى سنواتٍ لا يُشعَر فيها بنقص في الظاهر مع اتصال انبعاث رائحتها فيما حولها

بقي الكلام على تأثير الروائح في الجسم فهي سواءٌ كانت صادرةً عن الاجسام غير العضوية او عن العضوية في حال الانحلال تؤثر اثراً واحداً على جميع الحيوان الا في النادر فان ابخرة الكلور والامونياك والحامض الكبريتوس هي ابداً مهيجة تهييجاً شديداً حتى تحدث الاختناق وغاز الهدروجين المكبرت والحامض الهدروسيانيك سامّان مؤذيان للصحة . وبخلاف ذلك الروائح المنبعثة عن الاجسام العضوية فان تأثيرها يختلف تبعاً للاشخاص فمن الناس من تؤثر فيهِ تأثيراً شديداً لتناولها الوظائف العصبية كرائحة بعض الازهار الشديدة التأرُّج ولا سيما السوسنية منها وكرائحة المسك ونحوهِ من المفرزات الحيوانية ومنهم من لا تُحدِث فيهِ هذه الروائح واشباهها اثراً على الاطلاق

واما الحيوان فمع ان حاسّة الشم فيهِ على الغالب اقوى مما في الانسان فان هذا الشعور فيهِ لا يتعدى بعض الاحوال فالكلب مثلاً يعرف رائحة ربهِ ورائحة الصيد ولكنهُ لا يشعر برائحة الورد . وقد تنبه الباحثون لهذا الامر في الحيوان واستقروا ما يبدو منهُ من هذا القبيل في كثيرٍ من الاحوال فظهر لهم ان هذه الحاسة فيهِ بالاجمال من ذوات الثديّ الى ادنى الرتب الحيوانية لا تتجاوز ادراك روائح الاشياء المختصة بالمحافظة على حياة الفرد وبقاء النوع . انتهى تحصيلاً عن بعض المجلات الفرنسوية